الأقربون أولى بالمعزوف

أنِس على عكس البشر آدمُ بالظلمةِ.

تدثّر آدم بظلام تشوبه كل ثوينة رمشة من نورٍ أبيضَ، لم يكن هكذا دوماً، لكن حالته الصحية قلبت حياته جاعلةً الظلام ملاذاً. مؤخراً حتى الظلام نبهه بأنه قد يصبح موحشاً كالنور. لَمح جسماً يتحرك في زاوية الغرفة، في الظلام الحالك لم يكن من الممكن أن يميّز حجم الجسم الغريب، أفأر؟ أقطة أم جنية؟ في كل الاحتمالات، إن لم يكن الجسم موجوداً حقيقةً خارج عقله فما هي سوى إحدى علامات انحسار منطقة أمانه من معضلة معرفية رافقت حالته الصحية. لم يتحرك، لم يحرك حدقتيه، رمشت حلقة النور على حاسوبه المحمول.

«آدم! آدم!» صرخ جاره وهو يدق باب شقته المتواضعة.. أشعة الشمس الحارقة تكالبت على عينيه العسليتين، اختلط وجهه، أنفه الروماني ارتفع، غطّى آدم وجهه «نعم يا بدران». «هل علّمت أبناء الحارة التدخين؟» أنزل آدم يده قليلاً، لحية جاره مترامية الأطراف وشعره

المنحسر وأنفه الغوريلاتي وحاجباه شكّلوا برهاناً على نظرية التطور «لست في مزاج لأتحمل هراءك أيها القرد» قال أحدهم في عقل آدم. «سيد بدران، لقد تركتُ التدخين منذ أن بدأت مشكلاتي الصحية، لا أدري ماذا تعني...»، «لاحظتُ اختفاء بعض النقود من جيبي، عندما بحثت عنها وجدت فُتات تبغ في أحد جيوب أحد بناطيل ابني. واجهته بالفتات فقال لي إنّ بعض المراهقين الأوغاد في الحارة أعطوه دروساً في التدخين ثم باعوه السجائر! استعدت النقود منهم بالقوة وسألتهم إن انتموا إلى عصابة تخادع الأطافيل فقالوا إنك كبيرهم الذي علمهم الاحتيال.. أنت تعرف أن النقود هي آخر همّي، لكنها مسألة مبدأ يا آدم، اليوم دخانٌ وغداً مخدرات! أعلم أنك توقفت عن التدخين لكنني أعلم أيضاً أنك في ضائقة مالية، وخيالك... واسع.. لذا ليس من المستبعد أن تشكّل عصابة من هذا القبيل!».

تأقلمت عيناه مع الشمس، «بدران..»، تمنى لو أنها لم تفعل، «كم أتمنى لو ضاق قليلاً» وجه بدران الذي اقترب كفاية ليقبّله ليس وجهاً خُلِق ليرى من هذا القُرب. كم من المحاضرة كانت حقيقية وكم منها إضافات من عقل آدم هو سؤال لا يستطيع الإجابة عنه. أخذ نفساً عميقاً وقال دون لباقةِ إخفاء لا مبالاته «ما رأيك بأن تُحضر لي هؤلاء المراهقين لأثبت لك أنني بريء مما يفترون؟»، «هم في الساحة أمام عمارتنا، تعال معي لنميز الكاذب من الصادق». بنطال الجار العصبي النازل بسرعة انفتق مع كل درجة نزلها، قبل خروجهم من المبنى بقليل تمزّق بما فيه الكفاية ليخرج منه ذيله.

نقاطٌ مائيةٌ هوت على رأس آدم من السماء، أعمدة من النور تخللت الغيوم التي حجبت جُلّ الشمس. على مد بصره يلهو عشراتٌ من الأطفال المنقسمين إلى مجموعتين في لعبتهم المُرتجلة. شيعةٌ تلثموا وغطّوا وجوههم ومشوا وهم يلوّحون بأذرعهم للإمساك بالشيعة المبصرة، ميدان اللهو مؤطرٌ بالحجارة، عند الإمساك بأحدهم يُلفُّ وجهه باللثام لينضم إلى جماعة المكافيف.

مشى بدران على ساقيه لكنه استعان بين الحين والآخر بذراعيه ليدفع الأرض بيديه وبراجمه لا بقدميه فقط. خلفه يسير آدم ببطء يحك رأسه ويحاول تمييز ابن جاره المزعج بين الوجوه الطفولية. خنخن بدران مثل القرد، ونزع أحد الأطفال اللثام عن وجهه ليكشف عن وجه قردٍ صغير «أبناء؟» قال القرد محرَجاً أمام رفاقه البشريين: «تعاهوهونا» صرخ بدران وظهره محنيّ، اقترب ابنه متجنباً نظرات أبيه الغاضبة، الفتيات اللواتي لَهَا معهن ضحكن على هيئته.

«أهذا هوهوا؟» «نن.. نعم أبتِ» التفّ الغوريلا نحو آدم وقال: «ما هوهوا ردك؟»، «ردي على ماذا سيد بدران؟ لم يقل ابنك ما يثبت إجرامي، أين المراهقون الذين تحدثت عنهم» حك بدران رأسه وبحث عنهم. نقر آدم بعض قطرات المطر المعلقة في الهواء. على قارعة الطريق تحلّق المعنيون حول مشغل أغاني وتموجت أجسامهم في مكانها. أشار بدران نحوهم لم أسرع باتجاههم، تلاه آدم متمهلاً غير آبهٍ بِهَمِّ جاره. بجانبه ابن بدران الذي ازداد حرجه مع كل لحظة يمضيها بحضور والده الغاضب أمام رفاقه. قبل وصولهم إلى الحلقة، أوقف أحد الشباب الموسيقى وانتصبوا جميعاً وعلى وجوههم تلك التعابير المراهقة عندما تجد تلك الملعقة التي

يؤكل بها البراز عادة. تجمهرت حبوب الشباب على مد وجوههم، «هوهوهوهال هاهاهاذا الرأس المدبر؟» كلّهم دون استثناء تفادوا أعين آدم معترفين بكذبهم.

«تهمة زور وبهتان سيد بدران، إنْ سمحت لي فسأعود...». «أهوهوهاهاها» أجاب بدران بغضب. قفز حول مجموعة المراهقين ليفزعهم، احتضن بعضهم بعضاً. «بدران لا تحمِّل هؤلاء الصبية هذا الوزر، لقد كنتَ في عمرهم يوماً ما. أنت أدرى بحب الاستكشاف الكارثي لدى المراهقين». «آهاهادم لم يقترب من فمي أي نوع من السجائر، هل يدفع حب الاستكشاف إلى الهاوية؟». «يبدو لي أنك فعلًا لم تملك أي حبٍّ للاستكشاف في حياتك، الفضول هو المسبب الأول للموت». «لسنا قططاً!» صرخ بدران «نعم، كلنا نرى ذلك. الآن، إنْ سمحت لي فسأعود إلى شقتي التي أخرجتني منها عنوة لأن مجموعة من الأطفال الذين نما شعر عانتهم للتو خدعوك». قطّب بدران حاجبيه الكثيفين ثم أمسك بالمراهق الذي كذب عليه ورماه عالياً. صرخ المراهق ورفرف بذراعيه، لكن قوة بدران جعلته يطير في الهواء كأن خيطاً من السماء سحبه. تبعثر المراهقون في كل صَوب، تمكن بدران من لطم أحدهم ثم طارد آخرَ ليحصره أمام حائط المبنى، تفادى المراهق قبضة بدران اليمنى ليلقى اليسرى، أما المراهق الذي علا في السماء فتقزّم حتى اختفى.

كادت مركبة مسرعة تدهس آدم في طريق عودته، لكنه اختفى من أمامها في اللحظة المناسبة وانتقل خلال جزء من الثانية إلى الجانب الآخر من الشارع. رفع يده غاضباً وتمنى أن تتحطم المركبة، وبعد قليلٍ فعلاً حصل ذلك. في منتصف شقته المعتمة باستثناء حلقة النور، خلع حذاءه.

أعلمته معدته بحاجةٍ إلى الطعام. أضاءت الثلاجة الصغيرة في زاوية غرفته معترفةً بأنها خاوية على رفوفها؛ كل ما فيها هو قارورة كحول أثرية ليس تعتيقاً بل لتوقفه عن تلك العادة التي لم يعد يذكر متى بدأت، ومشروبٌ غازي نصف فارغ لا يدري إن جاز تسميته مشروباً غازياً أم هو سائلٌ محلّي، وقنينة مياه ذابت ورقتها. لطم باب الثلاجة وجلس على حافة السرير ليفكر بقوت يومه. مشت أصابع يده وانبطحت راحته على السرير في بحثها اللمسي عن الوسادة، وعندما التقى طرف خنصره بالملمس المهترئ استطاع رسم تفاصيل وأبعاد الوسادة في الظلام، فدفن يده أسفلها ليعيد من الموت علبة سجائرَ لم يمسسها منذ أشهر «تباً لك يا بدران...».

قاطع قطار السجائر الذي التهمه اهتزاز هاتفه. «عبود» ظهر على الشاشة، تردد آدم قبل الرد، وعندما أراد أخيراً الضغط على الزر الأخضر انطفأ الهاتف، لينضم نورٌ صغيرٌ إلى نور الحاسوب في رمشاته المنتظمة. أعاد آدم الاتصال لكن ردّاً آليّاً أحرجه بذكر رصيده. عانى ليصل إلى بنطاله الوحيد المعلّق في خزانته، ثم عانى ليبحث دون أن يضيء الغرفة في محفظته. من ملمس الأوراق النقدية وحساباتٍ من ذاكرته، خَمّن كم يملك. شتم المتلازمة التي أعاقته عن العمل في أي وظيفة. معظم الوظائف تعتمد على درجة ما من استيعابٍ للحقيقة، مهما قلّت، وإدراكٍ لما يحصل حوله.

«شُحُّ الطعام والرصيد في حسابي الهاتفي ليس كافياً لمواجهة العالم اللئيم». جفل آدم عندما اهتز هاتفه للمرة الثانية: «لماذا لا يجعلون الهواتف تعلمنا بقدوم مكالمة عن طريق الرائحة بدلاً من أن تفزعنا كهذا!». رد عبد عليه: «وعليكم التساؤل». «اعذرني، لا أملك ما يكفي من الرصيد». «آاه توقعت ذلك، إن لم ترد على هاتفك فذاك لسببين لا ثالث لهما؛ الفقر أو

النوم». «السبب الثالث هو صوتك وعدم رغبتي في سماعه». «لكن هذه حالتك دائماً!» ضحك آدم، أكمل عبد: «ها أنا ذا قادمٌ لأنتشلك من قبرك الحالك حالاً».

أسرع آدم نحو المركبة ويداه تحترقان، يمينه بحرارة حساء الشعيرية الذي ابتاعه من أجله، ويساره بحرارة شراب السحلب بالقرفة لصديقه. «ساخن ساخن» قال آدم. وسرعان ما نسي تحذيره بنفسه واحتسى الحساء، ثم أبعده بسرعة مسحت قليلاً من الحساء على شاربيه الكثيفين نسبةً إلى لحيته التي يحلقها مرة كل أسبوعين. ضحك عبد الهادي ملحم وبصقة سحلب مُعلّقةٌ على أرنبة أنفه، ثم أدار مفتاح المركبة مع عقارب الساعة.

ركن عبد سيارته بجانب ورشة بناء منزلٍ ناءٍ توفي صاحبه قبل أن يتم. العَرَصات حوله جعلت المكان مهجعاً لكل من أرادوا النأي بأنفسهم عن ضجيج المدينة لأي سببٍ كان. آدم وعبد اختارا المكان لهدوئه، وآخرون اختاروه إمَّا لشرب الكحول وإمَّا لتدخين الحشيش وإمَّا لخلوة غير شرعية وإمَّا لجميع ما ذُكِر. أمام مركبتهم ركنت بضع مركبات تتباعد مسافة أكثر من آمنة.

قال عبد بعد مرورهم بجانب مركبة فيها أربعة شباب حدقوا حولهم كأن جيوب بناطيلهم بجانب ركبهم: «هل تذكر عندما خرج ثملٌ من سيارته ولفّ حول نفسه ثم تبوّل عليها؟». ضحك آدم وانجرّت سلسلة ذكريات في ذهنه «أو ذاك الشاب الذي كان يتشاجر مع حبيبته دون أن ينتبه لاصطفافنا خلف سيارته» غيّر عبد صوته وقال بغضب: «رند! رااند اسمعيني، كل ما وصلك عن لقائي مع... رند! اسمعي... حسناً شكراً، اشتمي أبي أيضاً.. ممتاز.. ما وصلك عن لقائي مع دنيا .. اسمعي.. سيارتي

كانت في التصليح!»، تعجّب آدم من إتقان عبد للدور، عدّل صوته لدرجة لم يميّزه آدم عن صوت ذاك الشاب، وبطريقةٍ ما أصدر الكلام عن مسافة بعيدة. انشغل آدم بالضحك وكان على وشك أن يسأل كيف يفعل ذلك قبل أن يتمالك نفسه.

انتشلت المتلازمة الذكرى بدقة أكثر من المطلوب، ولم يكن صديقه بارعاً في تقليد الأصوات. شعر بتحسن لأنه صار يجبر نفسه على الواقعية، لكن ذلك تطلَّب وقفةً مع الذات لا تخفى على أعز صديق له. صديق زادت معزته بعد المتلازمة. منع آدم نفسه من تذكر كل الأصدقاء الذين لم يعد يحادثهم أو يحادثونه بعدها. بدوره صار عبد يفرّق قليلاً بين كلام آدم عندما يخاطبه ويتحدث عن الواقع وبين كلامه عندما يحدّث خيالاته أو يحدّثه عنها.

«هل من جديد بخصوص حالتك؟» سأل عبد وهو يدير مفتاح المركبة عكس عقارب الساعة، «هذا الموضوع يؤرقني دائماً ولم أخرج لأفكر فيه، أخبرني عنك، هل ما زالت زوجتك غاضبة منك؟» «هاها لقد خرجت للهروب منها لا لتذكرني بها.. ما هذا؟ هل عدت إلى السجائر؟»

نفث آدم الدخان: «لا، أنا أدخن عن روح جدي». ضحك عبد وقال: «أعطني سيجارة». علّق آدم: «صاحب واجب». اندفعت حلقة القداحة الإلكترونية محمرّة كالجمر. أعاد عبد كرسيه إلى الخلف كي يتمدد، وكذلك فعل آدم، فُتِحَ سقف المركبة نافذة نحو السماء. الكرات الملتهبة فرشت الشاشة السوداء أمام أعينهم. آدم وعبد أصدقاء من زمنٍ سحيق، ليس بزمنٍ بعمر تلك الكرات. لم يكن هناك الكثير ليتكلم آدم عنه، ومعظم أحاديث عبد كانت مكررة عن مديره الذي لا يطيقه، وزملائه

البليدين، وزوجته الأنانة الكنانة. مرض آدم أدحقه، قطع علاقاته مع كثير من أصدقائه حرجاً من المتلازمة التي أصابته. حالة نادرة تصيب ستةً أشخاص من أصل مئة، من أصل مئة، من أصل مئة. أسبابها ليست معروفة وأعراضها مُخزية، يفقد المصاب قدرته على فهم ما يحصل حوله تدريجياً. كونها تصيب الشباب يعني أنها لا تحمل معها عزاء الأمراض المرتبطة بالتقدم في السن، الآتية كخاتمة متوقعة لحياةٍ بصحةٍ جيدة نسبياً.

«هل تعلم من التقيت البارحة؟» سأل عبد وهو ينفض السيجارة خارج المركبة لتمطر على نملة تبحث عن طعام لعائلتها الممتدة. انتظره آدم ليكمل، «عزوز!». «أووه عزووووز، زمان عنه، كيف حاله؟» سأل آدم متظاهراً بأنه فرحٌ لسماع ذلك الاسم. في الحقيقة، لقد أخفى عن عبد كيف بهتت علاقتهما. قبل استفحال المرض كان عزيز من أقرب الأصدقاء إلى قلب آدم، وربما أقرب من عبد. عبود وعزوز، هكذا كانت الشلة تناديهما، جمعَا الدماثة والمروءة. لم يتردد عزيز في مساعدة آدم في بواكير تدهور حياته المهنية لكن كاهله لم يحتمل الثقل، فصار مريباً ثم بدا أبكمَ ثم غدا غريباً.

أخذ عبد يتحدث عنه بكامل الود الذي وَدَّ آدم لو أنَّه ما زال في جعبته. كل ما دار في خاطره هو عدد الرسائل التي تجاهلها العزيز، وكاد يسرح في كم الرسائل التي تُجوهِلَت ممَّن ظنّ أن الموت وحده ما سيحول بينه وبينهم، وتلك التي تجاهلها هو، لكنه يتجاهلها لأسباب مشروعة، بينما عندما تُتجاهَل رسائله فذلك لأسوأ الظنون. عبد أدركه قبل أن تنال منه أشباح ذهنه، فتسامرا وأعادا إحياء ذكرياتهما واحدة تلو الأخرى في ترتيبٍ ممنهج ومألوف حتى بعشوائيته.

وبعد أن تشنجت الفكوك الضحوكة، وأصبحت المركبة منفضة سجائر وقارعة الطريق مرحاضاً في الهواء الطلق وغادرت معظم المركبات ونعس القمر، تحطم زجاج بابيهما، أطل شرطيان شاربيهما عبر الإطار مُظهرَين شارَتيهما: «أتنكحون القانون؟» أبعد آدم الزجاج عن صدره منزعجاً: «هل منعتم التدخين؟». دون إجابة، ابتعدا عنهما ليكررا الفعل نفسه مع المركبة التي ركنت أمامهما. عدّل آدم كرسيه ليشاهد المداهمة. لم يدرِ ما ارتكب الشباب في المركبة أمامهم من جرائم، لكنها كانت كافية ليقدّم الشرطيان رصاصاً لكل الجالسين فيها. انخفض آدم وأصرّ على عبد أن يعدّل كرسيه ويهرب: «انظر كيف خردقوا المركبة!» صاح وعيناه جاحظتان تسترقان نظرات بين كوعيه المرفوعين كأنهما مضادان للرصاص. نظر عبد أمامه، وابتسم ابتسامةً مشفقةً على صديقه: «لنبتعد من هنا كي لا يقتلونا أيضاً». «ما هذا الهدوء يا رجل...» سكت فجأةً، فكّر قليلاً، ثم دق على النافذة بجانبه؛ النافذة التي لم يصبها أي كسر.

انتابت عبداً رغبةٌ في احتضان صديقه، لكنّ الحرج منع آدم من أن يلف وجهه، ثم قال: «... أظن أن الوقت تأخر». شغّل عبد المركبة، وتظاهر آدم بأنه ينظر عبر النافذة، قضم شفته السفلية وحاول بكل ما أوتي من رجولة منع نفسه من إلقاء اعترافٍ دامعٍ عن الخزي الملازم للمتلازمة.

ترجل آدم من الحافلة التي قادها صديقه عبد الهادي، مشى خطوتين قبل أن يلاحظ أنه نسي علبة السجائر على مقعده، لكن الحافلة وصلت آخر الشارع حينما أدرك ذلك. تذكر آدم آسفاً أنه لم يشترِ رصيداً لهاتفه. ندب حظه ومشى بين جثث المراهقين التي فتك بها بدران صباح هذا

اليوم. في شقته وجد أخته الوحيدة التي تصغره سناً، منى، جالسة على كرسيه الجلدي الذي امتلأت ذراعه اليسرى بالثقوب المتفحمة.

«أخي النّوووم!» وقفت منى لترحب بأخيها، تطاير شعرها الأبيض بياض الثلج والطويل طولاً أوصله وركيها، أنفها الصغير المغطى بالنمش ارتفع مع ابتسامتها. «سأبلغ الشرطة عن لص اقتحم منزلي!» قال وهو يتبسم «ومن قال لك إنني موجودة فعلاً؟» «ها ها ظننت أن السخرية من الأمراض العقلية أمرٌ محرمٌ على المحللين النفسيين أمثالك». «هو كذلك، لكن السخرية بين الإخوة تبيح المحظورات.. ابتهج يا آدم لقد جئت بخبر سارٍّ»، «يا ساتر، استر يا رب». من جيب بنطالها الوردي أبرزت بطاقة دعوة لزفاف.. «قد تقدّم أحمد أخيراً؟» ردة فعل آدم المباشرة كانت احتضان أخته فرحاً، لكنه فوراً أدرك تبعات الخبر غير السارّة. زواج يعني زفاف، والزفاف يعني عدداً كبيراً من الأقارب مضافاً إليه عددٌ من الأصدقاء، وعددٌ من المعارف، وربما بعض الأعداء، المحصلة عددٌ أكثر من اللازم. حتى لو افترض أن متلازمته قد تهدأ بفعل الدواء في تلك الليلة، إلّا أن الدواء لن يمنع الآخرين عن سؤاله عن أحواله.

«لماذا لا تزورنا؟». «ماذا تصنع في وقت فراغك» الذي هو كل وقته! كيف يرى العالم أمامه؟ «هل من علاج؟» كأنه لو عرفه لَما جرّبه بنفسه قبل أن يسألوه هذا السؤال السفيه الصفيق. أما والداه، فسيذكرانه بأنه يعقهما بقلة زياراته عُدة ومدة وبِشُحِّ رسائله، يذكرانه بالنظرات والتعليقات والإيحاءات، لن يتمكن من شرح خطورة المتلازمة، حتى لو ذَكّرهما بمصائب جليلة سابقة. كل ذلك دار في مخه وهو يحضن منى، رائحة عطرها الياسميني هدّأ من روعه. «هل تريد أن تثبتني حتى تأتي الشرطة؟»

قالت لتخرجه من عقله. ضحك وقال قبل أن يفلتها «أريد الحفاظ على أختي الصغيرة!». «أها، يبدو أن المتلازمة أخطر مما ظننت، لم أعهد هذا الحب منك!» وأكملت في أثناء ضحكه «كم أود البقاء هنا لأسخر منك يا أخي، لكن هناك كثيرًا من التحضيرات اللازمة للعرس». «بالطبع، إن أردتِ مساعدة فأخبريني» قالها بغصة في قلبه، فهو يعلم أنه عديم الفائدة.

انتقت منى كلماتها بفائق العناية، كما أخّرت التالي عن قصدٍ كي لا يمسّه الحرج. تظاهرت بأنها على وشك الخروج، ثم التفتت كأنما تذكرت أمراً مصادفة: «أوه، صحيح.. هذا الظرف فيه مبلغٌ من النقود، المبلغ ليس لك، إنما لشراء بزة لحضور عرسي». نظر إلى المغلف ولم يتكلم، لم تضعه في يده كأنه متسول، وإنما على أقربِ سطحٍ أمامها، سطح الثلاجة القصيرة، ثم عادت لتقبله على جبينه وغادرت.

أطال آدم التحديق إلى المغلف، انخفضت درجات حرارة الغرفة، ربما لأن المغلف فوق الثلاجة، ثم لاحظ أنه لم يشعر بالبرودة وإنما ارتعش كأنما شعر بها، وأن حرارة الغرفة في الحقيقة لم تتغير. عندما حاول المشي منعه شيءٌ ما، مجموعة هائلة من المسامير ثبّتت أقدامه بالأرض. المغلف همس له، لم يسمع ما قاله في البداية، لكن همسات المغلف تعالت: «اقترِب.. اقترِب». حاول أن يقترب لكن المسامير آلمته، حنى ظهره واقتلعها. ملأ صراخه الغرفة الصغيرة وتسرب عبر الشقوق وانتقل مع الهواء ليوقظ أحد الأطفال في المبنى، بكى الطفل. تمكن أخيراً من التخلص من المسامير وسار بصعوبة ملوثاً السجاد بدمائه، فخ دببة لم يرَه انكمش ليكسر عظام ساقه، سقط أرضاً وصاح ألماً. صاح الطفل أيضاً. أمسك فكّي الفخ وخلّص ساقه بصعوبة فائقة، ثم عرج متوجهاً نحو الثلاجة الصغيرة.

ارتفع بكاء الطفل مع كل خطوة حتى خَبَع، همسات المغلف علت
صرخات: «هيا! تعال! أسرع!» أمسك آدم المغلف أخيراً، مزّق
ليسيل دمٌ منه. همساته لم تُعبّر عن الألم، بل بالعكس، أطلق المغلف
خبيثة. بكاء الطفل ما انفك يرتفع. جسد آدم ظن أنه في القطب
ارتجفت يده وهو يسحب ما في المغلف، أطراف الأوراق النقدية
قليلاً بالدماء التي انهمرت من المغلف. عندما أخرج الرزمة كلياً
المغلف ضحكة شيطانية. في وسط العملة النقدية وجد وجهه
وجه الحاكم، فوق وجهه وأسفله كُتِب «الأخ الفاشل» وعلى
النقدية. تعالت ضحكات المغلف وبكاء الطفل. جن جنون آدم
يصرخ وينتحب، ودَّ لو فُتِح الباب على الفور ودخلت منى
جاثياً على ركبتيه يبكي ويصرخ، تسحب الرزمة من يده وترميها
وتضمه إلى صدرها. تحتضنه وتكرر كأم حنون تهزّ طفلها: «لا
بأس، كل شيء على ما يرام». لكن ما كان ليحصل أيٌّ من ذلك
مكانه على ركبتيه صامتاً، محدقاً إلى وجهه الورقي المدمّى.